ويتفق مؤرخ مع هذه الحيثيات في التخوف من لعب المانيا الدور قبل بريطانيا، وتفكير القيادة البريطانية بامكان قيام يهود روسيا بدور رئيس في التأثير في تطوير الاحداث الداخلية في روسيا، ناهيك عن تخوف بريطانيا من تهديد المانيا لمصالح بريطانيا في قناة السويس ومصر. «لذا كان لابد من هدم الجسور، نهائياً، بين الحركة الصهيونية والحكومة الالمانية». وفوق ذلك، فان «السياسة البريطانيين ايضاً، كانوا يرون في انشاء كيان يهودي ـ سياسي في فلسطين توطيداً لمصالحهم في الشرق العربي، من خلال استخدام هذا الكيان لمواجهة حركة التحرر القومي العربي التي اخذت تنمو في هذه الفترة، نمواً كبيراً، وتتحول، شيئاً فشيئاً، الى حركة شعبية جماهيرية، خاصة في سوريا والعراق»(٥٧).

ويرى مؤرخ آخر السبب في حراجة موقف الحلفاء الحربي الذي عبر عنه لويد جورج والحاجة الى معاضدة اليهود في اقحام اميركا في الحرب الى جانب الحلفاء، ويذهب البعض الى ان الوعد كان من اسبابه مكافأة وايزمان على اكتشافه الاستيون، وهناك نظرية سندات قروض الحرب التي اصدرتها بريطانيا(٥٨).

في ضوء هذه الآراء، يمكن تبني بعضها المتعلق بحراجة الوضع العسكري للحلفاء عام اصدار الوعد، ورغبة بريطانيا في مساندة اليهود للحلفاء من خلال نفوذهم المالي، والاعلامي، في بلدان اوروبا واميركا، والتخوف من استباق المانيا لبريطانيا باعطاء وعد. اما الزعم بأن بريطانيا رمت، من خلال الوعد، الى جر الولايات المتحدة الى الحرب بواسطة النفوذ اليهودي في اميركا، فأمر مبالغ به، لانه لم يكن لليهود، آنذاك، نفوذ يذكر. وقد دلت الاحداث ان حرب الغواصات الذي استعملتها المانيا كان السبب وليس نفوذ اليهود. وبشأن اكتشاف وايزمان لمادة الاستيون الحربية، فان هذه خرافة انكرها وايزمان نفسه لاحقاً(٥٩). كذلك ان مسألة السندات التي أصدرتها بريطانيا لم تكن عاملاً حقيقياً، لأن متمولي اليهود كانوا ضد انشاء الوطن القومي اليهودي(٦٠).

ومن العوامل المعقولة التي كانت وراء اصدار الوعد ان ذلك «سيحمل يهود روسيا الذين انخرط اكثرهم في الحركة اليسارية الداعية الى اخراج روسيا من الحرب على تغيير موقفهم والدعوة الى ابقاء بلادهم في القتال الى جانب انكلترا»(٦١).

يضاف الى ذلك رغبة بريطانيا في التخلص من عدد من المهاجرين اليهود اليها من اوروبا الشرقية، وتعاطف بلفور مع الحركة الصهيونية كونه «اسكتلندياً مثقفاً ومولهاً بالكتاب المقدس، من ناحية، ومن ناحية اخرى سياسياً محافظاً متشبثاً بالامبراطورية الى الحد الذي اكسبه لقب بلفور الدامي، عندما كان حاكماً لايرلندا»(٦٢).

ولعل من العوامل المقبولة، ايضاً، رغبة بريطانيا في اقصاء فرنسا عن منطقة قريبة من قناة السويس، ومن ناحية اخرى، تصورها امكان ضرب الثورة البلشفية من الداخل، باستمالة يهود روسيا الى الصهيونية بدلاً من البلشفية، ودفعهم الى مساندة الثورة الروسية البيضاء المضادة للثورة البلشفية(٦٣).

يبقى السبب الرئيس الحاسم والاهم، وهو مصلحة بريطانيا الامبريالية وحلمها القديم الذي كان ينتظر الوقت المناسب لتنفيذه. وهذا اكدّه بلفور نفسه، بقوله: «في فلسطين لم نقصد أبداً ان نستأنس برغبات السكان وامانيهم. ان الصهيونية، بالنسبة الينا، اهم بكثير من الرغبات والافكار المسبقة لسبعمائة الف عربي يقطنون تلك الاراضي القديمة»(٦٤).

اما هربرت صموئيل، عضو وزارة الحرب البريطانية واول مندوب سام بريطاني على فلسطين،